والإخفاقات، إذ علينا أن نعمل بصورة أفضل (تشديد التطلب) لينين. أما عن البذخ وتوزيع الثروات بعدالة، فقد قرأت عن اجتهادات علي بن أبي طالب والقرامطة ومن قبل ثورة سبارتاكوس في روما، أما الرؤية الاشتراكية في الزمن المعاصر فهي لماركس...

ووجدت في كلمات غرامشي عن مثقف الخير العام، تطويراً لكلمات مونتسيكيو... ولكن لفتتني إدانة الأخير للمال السياسي وبيع الضمير بالمال، الأمر الذي كان له بدايات في الأوساط الفلسطينية، بل تعاظمت هذه البدايات في السبعينات والثمانينات وبعدئذ لكنني خلصت إلى أن الثوري يختار المبادئ لا المال وهو لا يرتهن للمال مهما كان السبب. فالجماعة الثورية تسقط ما لم تستقل مالياً...

والعقلانية والمواطنة والقانون وسلطة القضاء والفصل بين السلطات، كان لهذه المقولات وسواها الدور الناظم للمجتمعات المعاصرة، بل قبل أن تتحرر وتستقل فلسطين انخرطت القيادة الفلسطينية في مسار أوسلو الذي نتج عنه فيما نتج تراكيب سلطوية وأوضاع باتت تستدعي بإلحاح هذه المقولات.

ولأن الإسلام السياسي انغمس في الخيار المقاوم انحازت له قطاعات شعبية واسعة، لقد ملأ الفراغ الذي خلفته منظمة التحرير، بفصائلها، فأصبح يشكل نصف الخارطة السياسية بمنظوراته التي لا تتفق مع تلكم المقولات.

لقد تقهقر الخطاب الفكري المعاصر في الساحة الفلسطينية سواء كان يسارياً أو قومياً أو ليبرالياً في مرحلة أوسلو، ارتباطاً بتفكك وتقزّم اليسار وغياب قياداته من جهة، والتحولات اليمينية على فتح وصولاً إلى انخراطها في المشروع الأمريكي من جهة ثانية، أما التيار الليبرالي فهو لم يكن قوة منظمة في فلسطين، مجرد أصوات ونخب هي في معظمها لم تنخرط في مسيرة المقاومة، فضلاً عن المبهورين فيما تروجه وسائل الإعلام الغربية الرأسمالية، وبعض النافذين المتكسبين من المنظمات غير الحكومية.

ودون استرسال، كان لمسيرتي الفكرية بصماتها الدامغة على وعي الجبهة، نظراً لما أنيط بي من مهام واسعة على هذا الصعيد، سيما في سنوات انتظام الإصدارات الداخلية والإعلام الخارجي.)

أما قيادي آخر فقال (تطلب مني أن أعود عشرات السنوات للوراء، إلى مرحلة التأسيس بما فيها من سحر الأسئلة وسحر الأجوبة وسحر الاكتشاف والتجريب والتعليم...

لن أتحدث عن فترة ما قبل التجربة الحزبية، أي مرحلة العمل الفدائي ومحاولات البناء التنظيمي التي جرت تصفيتها عام ١٩٧٦، فغيري أفضل مني.

أعترف أنني اصطدمت بأسئلة جدية حينذاك. لماذا أخفقت، أو على الأقل جرى تصفية محاولات العمل الفدائي في الوطن المحتل؟ ولماذا جرى تصفية التجربة المركزية تحت ضربات التعذيب عام ٧٦؟

كان الجواب الأولي: